اللومبارديون وعلاقاتهم السياسية بالقوى المجاورة

في ضوء كتابات المؤرخ بولس الشماس

دكتور

أسامة زكي زيد

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

عميد كلية الآداب - جامعة طنطا

٢٠٠١

اللومبارديون وعلاقاتهم السياسية بالقوى المجاورة
فى ضوء كتابات المؤرخ بولس الشماس

قام اللومبارديون بدور كبير فى التاريخ الأوربى الوسيط منذ أن وطأت أقدامهم إيطاليا عام ٥٦٨م بقيادة ملكهم البوين حتى قضى عليهم شارلمان عام ٧٧٤م أيام الملك دذيدريوس Desiderius ، ويعتبر المؤرخ اللومباردى بولس الشماس Paul the deacon من ابرز مؤرخى العصور الوسطى المتخصصين فى تاريخ اللومبارديين منذ وصولهم إيطاليا حتى وفاة الملك ليوتبراند Liutparnd عام ٧٤٤م [١] وقد اعتمدنا على كتاب هذا المؤرخ المعنون "تاريخ اللومبارديين" History of the Lombard فى استخلاص الحقائق التاريخية المتعلقة بموضوع البحث. ويستحسن التعريف بهذا المؤرخ وكتابه بإيجاز قبل الخوض فى تفاصيل تاريخ اللومبارديين :

ولد بولس الشماس من أبوين لومبارديين ، ونال حظه من التعليم فى البلاط الملكى اللومباردى فى بافيا أثناء حكم الملك ليوتبراند (٧١٢ – ٧٤٤م) الذى غدا له بمثابة الأب الروحى. وظل يتدرج فى المناصب المتعددة فى البلاط الملكى طوال حكم هذا الملك ومن خلفه على العرش حتى سقطت مملكة اللومبارديين عام ٧٤٤م على يد شارلمان فاعتكف بولس الشماس فى دير مونت كاسينو Monte Casino بناء على أوامر شارلمان لمدة تسعة أعوام [٢]. وفى عام ٧٨٣م كتب إلى شارلمان يستأذنه فى الخروج من الدير والمثول بين يديه ، فسمح له بذلك ثم عرض عليه البقاء فى البلاط الملكى والانضمام إلى المفكرين والعلماء أمثال بطرس البيزى والكوين وثيودولف للعمل معهم فى مدرسة القصر التى اهتم بها شارلمان. فوافق شارلمان على ذلك، وظل هناك ما يقرب

---

(١) Deanesly,M.,A history of early medieval Europe, London 1956, P. 247.

(٢) Peters,E.,the Lombards and the Lombrd Laws,cf. The Lombard Laws, translated by katherine fiseher Drew, Philadelphia, 1973, (PP.v – xx11), PP. X1 – x11.

من عامين قرر بعدها العودة مرة أخرى إلى الدير ، وظل به حتى وفاته عام ٧٩٩م [١] .

شغل بولس قبل وفاته بثلاث أعوام بكتابه مصنفات ثلاثة ، أولها تجميع وطبع مراسلات البابا جريجورى الكبير (٥٩٠ – ٦٠٤م) إلى صديقه أدلهارد رئيس دير كوربى Dalhard. وثانيها تاريخه عن حياة هذا البابا ، وأخيرا ختم اعماله بالكتابه عن تاريخ اللومبارديين [٢] .

ويعتبر كتابه المدون باللاتينية والمعنون Historia Langotardorum مصدرا رئيسيا لأخبار اللومبارديين من حيث أصولهم ونشأتهم وتحركاتهم تجاه شبه الجزيرة الإيطالية وتأسيس مملكتهم ونموها حتى وفاة الملك ليوتبراند عام ٧٤٤م [٣].

وجرى ترجمة هذا الكتاب من اللغة اللاتينية إلى بعض اللغات الأوربية الحديثة ، فقام د.أوتو آبل Otto Abel بنقله إلى الألمانية تحت عنوان :

Paulus Diakonus Und die Ubrigen Geschichtscbreit er der Langobarden.

وتم طبعه فى ليبزج عام ١٨٨٨م . وكذلك ترجم إلى اللغة الإيطالية بمعرفة الأستاذ أوبرتى جيانسفرو Auberti Giansevero بعنوان:

Polo Diacono Dei Fatti de Langobardi

ونشر فى روما عام ١٨٩٩م [٤] . وأخيرا ترجم إلى اللغة الإنجليزية بمعرفة الأستاذ وليم دادلى فولك Wlliam Dudley Folk تحت عنوان Paul the Deacon, History of the Lombards وتم طبعه فى فيلادلفيا عام ١٩٧٤. وهى النسخة التى اعتمدنا عليها فى هذا البحث.

وجدير بالذكر أن بولس الشماس كان شاهد عيان لكل ما كتبه عن تاريخ

---

(١) Ibid, P.x11, Deanesly, op. Cit., P. 248.

(٢) Peters , op.cit ., P. x111.

(٣) Deanesly, op. Cit., loc cit.

(٤) Peters, op. Cit., P.v.

اللومبارديين فى أواخر حياته. ويبدو أن المنية قد وافته قبل أن يكمل تاريخه فقد توقف فى كتاباته عند عام ٧٤٤م [١] . وكان يعتمد فى تاريخه على الكتابات الأصلية المسجلة والمكتوبة دون الاعتماد على غيرها من الروايات الشفهية المتناقلة بين الأفراد. ومن هنا اتسمت كتاباته بالصدق والأمانة [٢].

وينقسم كتابه إلى ستة فصول ، الأول يتناول اصل اللومبارديين وتحركاتهم فيما قبل القرن السادس الميلادى. بينما يوضح القسم الثانى مرحلة دخولهم إيطاليا بقيادة البوين ، ثم تضمن القسم الثالث الصعوبات التى واجهت اللومباديين فى تأسيس مملكتهم بزعامة أوثارى Authari أما بالنسبة للأقسام الثلاثة الباقية فقد تناولت أحداث المملكة أيام أقوى ملوكها المشرعين روثير Rothair (٦٣٦ – ٦٥٢م) ، وجريموالد Grimwald (٦٦٢ – ٦٧١م) ، وليوتبراند Liutprand (٧١٢ – ٧٤٤م)، ثم تعرض من خلال حديثه عن هؤلاء الملوك الثلاثة إلى شرح كثير من مواد القانون اللومباردى الصادر فى عصر كل منهم. هذا عن حياة بولس الشماس. وفيما يتعلق باللومبارديين ومملكتهم فى شبه الجزيرة الإيطالية ، نعرف أن العالم الرومانى تعرض اعتبارا من القرن الثالث الميلادى لأزمات عنيفة هددت كيانه. إذ عاث الجرمان البرابرة فى أراضى الإمبراطورية الرومانية ، وكثرت إغارتهم عليها حتى نجحوا آخر الأمر فى الانسياب إلى جوف الإمبراطورية ، وقضوا تماما على الجزء الغربى منها عام ٤٧٦م ، وأقاموا على أنقاضها الممالك الجرمانية : القوط الغربيين فى أسبانيا وجزء من جنوب غاله (٤١٥ – ٧١١م) ، ومملكة الوندال فى شمال أفريقيا (٤٣٩ – ٥٣٤م) ، ومملكة القوط الشرقيين بإيطاليا (٤٩٣ – ٥٥٢م) ، ومملكة الفرنجة فى شمال غاله وغربيها عام ٤٨٦م [٣] . غير أن القوات البيزنطية نجحت فى عهد جستنيان (٥٢٧ –

---

(١) Ibid, PP. x1v – xv .

(٢) Deanesly, op. Cit; Loc. Cit .

(٣) Peters, op. Cit; PP. V – v111.

انظر كذلك السيد الباز العرينى: تاريخ اوربا فى العصور الوسطى ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٣١.

٥٦٥م) فى القضاء على بعض هذه الممالك الجرمانية وإعادة سيطرة الإمبراطورية من جديد على شبه الجزيرة الإيطالية [١]. ولكن تلك الانتصارات العظيمة التى حققها الإمبراطور جستنيان لم تدم طويلا فلم تكد الإمبراطورية الرومانية تلتقط أنفاسها حتى تعرضت إيطاليا لغزو اللومبارديين اللذين مثلوا آخر الهجرات الجرمانية التى اقتحمت الإمبراطورية الرومانية واستقرت داخل أراضيها ، حيث كونوا مملكة كبيرة شملت معظم أنحاء إيطاليا ما عدا الجزء الجنوبى منها وصقلية وحزام يمتد عبر وسط إيطاليا من رافنا إلى روما [٢] .

واللومبارديون من الشعوب الجرمانية التى أتت من جرمانيا إلى أطراف الإمبراطورية الرومانية فى القرن الأول الميلادى والتاريخ القديم لم يكن قد طوى صفحته بعد [٣] . وكانوا أكثر تلك الشعوب تخلفا فى تلك الفترة المبكرة ، واقلها تأثرا بالنواحى الحضارية لأنهم عزفوا عن ثقافة وحضارة الرومان قبل وصولهم إلى حدود الإمبراطورية الرومانية [٤] . أما بعد دخولهم إيطاليا فقد نجحوا فى التآلف مع الشعب الرومانى وبقايا الحضارة الرومانية القديمة فسرعان ما أخذوا عن الرومان ألقابهم القديمة وأنظمتهم وحكومتهم ، كما اعتنقوا المسيحية على المذهب الكاثوليكى الغربى فى عهد ملكهم آجيلولف Agilulf (٥٩٠ – ٦١٥م) بعد أن كانوا يعتنقون

---

(١) سعيد عاشور : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ١٠٩.

(٢) سالقيان : ورثة الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة د.جوزيف نسيم يوسف ، الإسكندرية ١٩٨٤ ص ٥٢. راجع : أيضا :

Masterman, H.; The Dawn of Medieval Europe, London, 1911, P. 81.

(٣) Paul the Deacon History of the Lombards, translated by William Doudley Fculk, philadelphia, 1974, P.3 cf. Also

(٤) Oman, Ch; The Dark Ages (476 – 918), London. 1923, P. 181; Oman, op. Cit; P. 182 .

الآريوسية[١] كما سمحوا لمدن الشمال الإيطالى أن تتطور وأن تنتج حضارة تفوق تلك التى عاش فى ظلها معظم جيرانها من الجرمان البرابرة [٢] . ويختلف اللومبارديون عن القبائل الجرمانية الأخرى فى طريقة حياتهم . فبينما كانت تلك القبائل تعيش فى القرى الصغيرة والمزارع ، كان اللومبارديون يفضلون الحياة فى المدن على الإقامة فى السهول المنزرعة [٣] وكانوا يعرفون باسم وينيلس Winniles [٤].وهناك أسطورة قديمة تكشف عن سبب تسميتهم باللومبارديين ، خلاصتها أن هذه القبيلة عندما رحلت من موطنها الأصلى باسكيندناوه اتجهت نحو إقليم سكورينجا Scoringa[٥].واستقرت هناك بضع سنوات ثم ما لبثت أن تعرضت لهجمات عنيفة من قبيلة الوندال Wandals فاندلعت حرب ضروس بين القبيلتين [٦] .

وطلب قائد جيش الوندال أمبرى Ambri من الإله جودان Godan [٧]. أن يمنحه النصر على أعدائه . ولكن الإله أبى أن يكون النصر إلا لمن يراه من القبيلتين أولا عند شروق الشمس وعندما علمت جامبارا Gambara ملكة قبيلة وينيلس بهذا

---

(١) جوزيف نسيم: تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، الإسكندرية ١٩٨٤، ص ٨٤. راجع أيضا :
Dury, v; The History of the Middle Ages, New York, 1891, P. 39.

(٢) جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ٨٤ .

(٣) جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ٨٣.

(٤) Secundus of Trent, Orgio Gentis Langobardorum, cf. Paul the Deacon, History of the Lombards, translated by William Dudley, Philadelphia, 1974 (PP. 315 – 321) , P. 316.

(٥) تقع على بعد أربعة وعشرون ميلا جنوب شرق مدينة هامبورج انظر .
Paul the Deacon, op . cit; P. 11, n. 1.

(٦) Secundus of Trent, op. Cit; Loc. Cit.

(٧) هو أحد الألهة القديمة ، وهو معروف باسم هرمس Hermes عند الإغريق ، وباسم مركوريوس عند الرومان Mercurius وهو أحد الألهة المشهورة عند كل الشعوب الجرمانية. وقد ذكرت الأساطير=

الأمر قد توصلت بدورها إلى فراى Frea زوجة الإله جودان لسكى تساعدها فى النصر على قبيلة الوندال خاصة وأن المحاربين من رجالها كانوا قلة ضئيلة جداً بالنسبة للوندال. فوافقت فراى Frea ونصحت الملكة جامبارا بالتنبيه على نساء القبيلة أن يجدلن شعورهن أسفل ذقونهن حتى تبدو من بعيد كما لو كانت لحى أرخاها أصحابها، وأن يخضعن مع أزواجهن ليقف الجميع فى مواجهة نافذة بيت الإله جودان حتى يراهم جميعا عندما يطل منها. وعند شروق الشمس أدارت فراى وجه الإله ناحية النافذة ، ثم أيقظته فوقعت عيناه على المحاربين من قبيلة وينيلس فسأل: من هؤلاء أصحاب الذقون الطويلة ؟ فردت زوجته قائلة : طالما أنك أطلقت عليهم هذا الاسم فأمنحهم أيضا النصر فأجابها إلى طلبها . ومنذ ذلك الحين عرفت هذه القبيلة باسم اللومبارديين Longobardi [١] .

ومهما يكن من أمر، فإن كل ما يهمنا أن اسم اللومباردبين أطلق على قبيلة ونيليس نسبة إلى ذقونهم الطويلة. وهى كلمة تتكون من مقطعين، الأول Longo ويعنى "طويل"، والثانى bardi ويعنى "ذقون" والمقطعان معا يرمزان إلى "أصحاب الذقون الطويلة " [٢]. وطالما أن المصادر لم تفدنا بالتاريخ الذى أطلقت فيه هذه التسمية عليهم ، فمن المحتمل أن يكونوا قد عرفوا بهذا الاسم مع بداية رحيلهم من موطنهم الأصلى باسكيندیناوه للإغارة على المناطق المجاورة ، وعزمهم فى نفس الوقت على إطلاق ذقونهم لتضفى على هيئتهم سمة المحاربين الأشداء فيدخلون الرعب فى قلوب أهالى تلك المناطق ، مما يسهل عليهم سرعة الاستيلاء على الممتلكات .

= أنه مبعوث الألهة ، وكان يصور وهو يحمل عصا الرسول ويرتدى خوذة الاختفاء ، وعرف بأنه رب التجار وحامى الطرق وقائد الأرواح عبر سراديب العالم الاخر وحامى الحدود. لمزيد من التفصيلات انظر : سيد الناصرى : الإغريق ، تاريخهم وحضارتهم ، القاهرة ١٩٨٤، ص ١٧ – ١٨.

(١) Paul the Deacon, op cit; P. 16; Secundus of Trent; op.Cit:PP. 316 - 316.

(٢) Paul the Deacon, op. Cit; P.17;cf. also: Masterman, op. Cit; p. 81 .

على أية حال ، أخذ اللومبارديين ينسابون ببطئ فى حوض نهر الرادين نحو نهر الدانوب وظلوا طويلا على الضفة الغربية لنهر الدانوب بين Moravia, Theiss ثم ظهروا فى بانونيا Pannonia فى أوائل القرن السادس الميلادى واستقروا هناك لبضع سنوات [١] . ثم تحركوا بعد ذلك إلى أواسط الدانوب ، وأصبحوا يجاورون كلا من الجيبداى Gepidae والقوط الشرقيين Ostrogoths [٢] .

ويبدو أن اللومبارديين لم يشكلوا فى هذه المرحلة خطرا على الإمبراطورية البيزنطية لأنهم عملوا كجند مرتزقة فى جيوش الإمبراطور جستنيان تحت قيادة نارسيس Narsis عام ٥٥٢م لمساعداته ضد بدويله ملك القوط الشرقيين فى إيطاليا وذلك مقابل ما بذل لهم من أموال. وقد ابلوا بلاء حسنا فى القتال وكانوا عاملا مساعدا فى القضاء التام على مملكة القوط الشرقيين فى إيطاليا [٣]. ويبدو أن هذه الحرب هى التى أوضحت للومبارديين مدى ثروة إيطاليا وغناها وفى نفس الوقت كشفت لهم عن مواضع ضعفها وتفككها [٤]. ولذلك كان من الأنفع للإمبراطورية البيزنطية أن تصادق أولئك القوط فعلا لتدرأ بهم شر عنصرا أكثر بربرية وهو اللومباردیين طالما أن القوط

---

(١) Secundus of Trent, op. Cit; PP. 318 – 319; Paul the Deacon, op. Cit., P.62; cf also: Jenkins, Medieval European history, London, 1929; P.9; Dury, op. Cit; P. 38

انظر كذلك سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(٢) Procopius, History of the Wars, translated from the original Greek by H.B. Dewing . 7 vols, London, (1910 – 1940), t.111, P.409; cf. Also : Om an, op. Cit; P. 182

راجع كذلك: محمد الشيخ، الممالك الجرمانية فى أوربا فى العصور الوسطى الإسكندرية : ١٩٧٥ ؛ ص ٢٣٨.

(٣) Procopius, op. Cit; v, p. 331; Paul the Deacon, op. Cit; P.53, cf. Also: Hodkin, Italy and her invaders, 6 Vols, oxford, (1890- 95), v, pp. 61-65; Oman, op. Cit; P. 182.

(٤) محمد الشيخ : المرجع السابق ؛ ص ٢٤٠ راجع كذلك :

Oman, Op. Cit; Loc. Cit.

الشرقيين كانوا أكثر الشعوب المتبربرة حفاظا على الحضارة والنظم الرومانية ، وأنه لو لم تتصدع دولتهم فى إيطاليا لما حدثت الغزوات اللومباردية [١].

على أية حال، تأخر غزو اللومبارديين لإيطاليا ما يقرب من خمسة عشر عاما بعد ذلك بسبب حروبهم الطاحنة مع الجبيداى من ناحية، ولكبر سن ملكهم أدوين Audoin من ناحية أخرى [٢] فبعد وفاة هذا الملك عام ٥٦٥م خلفه على مملكة اللومبارديين ابنه البوين Alboin ، وفى عهده زادت العلاقات سوءا بينه وبين قبيلة الجبيداى ، واشتعلت نيران الحرب أكثر مما كانت عليه أيام حكم الملك أودين مما اضطر البوين إلى طلب مساعدة ملك الأفار خان بايان khan Baian وعقد معه معاهدة تحالف تعهد بموجبها بدفع عشر ما يمتلكه اللومبارديين من الطيور ، وتقسيم الغنائم مناصفة بينهم وبين الأفار، وأن يحصل الأفار على الأراضى التى كانت خاضعة للجبيداى[٣]. وقد نجح اللومبارديون فى إحراز انتصار كبير وقام الجبيداى وألحقوا الخراب والدمار بمملكتهم عام ٥٦٧م بعد مقتل ملكهم وتحويل أسراهم إلى عبيد [٤].

والواقع أن هذا الانتصار الذى أحرزه البوين على قبيلة الجبيداى قد ثبت نفوذه فى المنطقة إلى حد بعيد ، وجعله يقرر غزو إيطاليا . ولكنه فكر قبل القدوم على هذه الخطوة فى الاتصال بأصدقائه القدامى من السكسون والبلغار لمزيد من العون ضمانا لإحراز النصر فى أسرع وقت ممكن. فما لبث أن جاء إليه أكثر من عشرين ألف رجل

---

(١) محمد الشيخ : المرجع السابق ؛ ص ٢٣٩.

(٢) Oman, Op. Cit., Loc cit .

(٣) Paul the Deacon, Op.cit,. PP. 50-52, cf also Schmidt, Zur Geschichte der langobarden, Leipsic, 1895, PP 63-64.

(٤) Geechichte, Italien lmmittelalter, 2 vols, Gotenburg, 1903,11, P.31Deanesly, Op: cit: p: 245: OmaN, OP: CIT; Loc : cit.

مع زوجاتهم وأطفالهم [١]. ثم قاد البوين قومه فى إبريل عام ٥٦٨م ناحية الجنوب ، فاجتاز بهم جبال الألب واخترق الأراضى الإيطالية عن طريق شبه جزيرة استريا،ونزل بهم سهول الشمال الفسيحة دون مقاومة تذكر [٢]. بل سارعت بعض المدن مثل أكويليا Aquileia وميلان Milan وفيرونا Verona بالاستسلام والترحاب بهؤلاء الغزاة [٣]. لأنه كان عليهم الاختيار بين الاندماج فى المملكة الجرمانية الجديدة أو الخضوع والاستسلام وأداء الضرائب الباهظة للإمبراطورية البيزنطية فاختاروا الطريق الأول اعتقادا منهم بأن اللومبارديين لن يكونوا بأية حال من الأحوال أسوأ من البيزنطيين [٤]. وكانت الإمبراطويرية البيزنطية فى ذلك الوقت على عهد جستين الثانى (٥٦٥ – ٥٧٨م) فى حالة لا تسمح لها بإرسال جيوش لوقف توغل اللومبارديين داخل الأراضى الإيطالية بسبب انشغالها ضد الفرس [٥]. وبالتالى لم يصادف اللومبارديين مقاومة إلا من المدن المحصنة ذات الأسوار العالية القوية والموجود بها الحاميات البيزنطية ولكن حتى هذه المدن لم تستطع الصمود طويلا ، وسرعان ما انتشر اللومبارديين فوق سهل نهر البو Po الذى عرف بسهل لومبارديا نسبة إليهم منذ ذلك الوقت [٦] . وقد عانى أهالى تلك المدن كثيرا نتيجة أعمال القسوة

---

(١) Paul the Deacon; op. Cit p61; Deanesly; op ; P. 246; peter; E; Europe; The World of the Middle Ages; New Jersey; 1977; P.136.

(٢) محمد الشيخ : المرجع السابق ، ص ٢٤١ انظر كذلك :

Masterman; Op. Cit; P 81.

(٣) Oman, Op. Cit; P.184.

(٤) Katherin, F D; The Lombard State and Lombard Laws, cf. The Lombard Lwas, Philadelphia, 1973; (PP 14-37), P. 14.

(٥) Ibid.

(٦) سعيد عاشور : المرجع السابق ؛ ص ١١٠ راجع أيضا .

Oman, Op. Cit; Loc. Cit. Stephenson, Mediaeval History, U.S.A., 1965, P. 95

والعنف التى لاقوها من البوين بسبب تحديهم له ورفضهم الاستسلام [١] . ولكن اللومبارديين تمكنول أخيرا من اخضاع كثير من هذه المدن ، وفى مقدمتها بافيا Pavia التى استمر حصارها ما يقرب من ثلاث سنوات ، ثم اتخذها اللومبارديين عاصمة لملكتهم الجديدة [٢] ولقد حكم البوين ثلاث سنوات ونصف ثم اغتيل غدرا بيد أحد غلمانه عام ٥٧٣ م ويرجع السبب فى ذلك أنه بعد أن انتصر على قبيلة الجبيداى وقضى على مملكتهم وقتل زعيمهم ووقعت ابنة هذا الزعيم المسماه روزماند Rosemund فى اسر اللومبارديين طلب البوين بعد مضى فترة من الوقت الزواج من روزماند فوافقت رغم الكره الشديد الذى كانت تكنه له . ولكنها فضلت أن تكون ملكة عن كونها مجرد أسيرة. وفى أحد الأيام بينما كان الملك البوين جالسا فى إحدى المآدب فى فيرونا يتناول شراب النبيذ فى كأس مصنوع من جمجمة رأس والد زوجته روزماند أخذ يتهكم أمامها على هذا الموقف وتمادى فى سخريته وطلب أن تشرب معه فى نخب والدها. ولذا فقد ضاقت ذرعا بتصرفاته وإهانته لها وصممت على الانتقام منه . فدبرت مؤامرة مع خادمه للتخلص منه أثناء استغراقه فى اليوم . وتم ذلك بالفعل ولكن الملكة روزماند أرادت التخلص من شريكها فى ارتكاب الجريمة ، فدست له السم فى شرابه وعندما شرب حتى منتصف الكأس أدرك بتحرك السم فى أحشائه فسحب سيفه وسلطه على رقبة الملكة وأرغمها على شرب ما تبقى منه ، ففعلت مضطرة وانتهى الأمر بموتهما معا وتحققت عدالة السماء [٣] .

---

(١) Paul the Deacon, op. Cit; P. 81.

(٢) Dury, op. Cit: P. 38, Thatcher and Schwill, Europein the Middle Ages, London, 1907, P.83.

(٣) Paul the Deacon, Op. Cit; PP. 82-86; secunds of Trent, op. Cit; P. 319, cf also: Hodkin, op. Cit; v,p. 170; Schmidt, op. Cit; P. 72 .

ويبدو أن مقتل البوين لم يؤثر كثيرا على حركة توسع اللومبارديين داخل شبه الجزيرة الإيطالية ، فسرعان ما اختار أدواق اللومبارديين كلف Cleph ملكا عليهم ، وبالغرم من عدم استمراره فى الحكم أكثر من عام ونصف لقتله بيد أحد غلمانه ، إلا أن اللومبارديين نجحوا تحت زعامته فى السيطرة على الأجزاء الشمالية لإيطاليا حتى حدود توسكانيا الجنوبية [١] . ثم واصل أدواق اللومبارديين بعد ذلك مسيرة الغزو حتى نجحوا فى الاستيلاء على الأجزاء الوسطى من إيطاليا حتى بنفنتو Benevento ، ثم قاموا بتأسيس دوقيتين كبيرتين هما دوقية بنفنتو ، ودقية سبولتو Spoleto [٢] . وبذلك يكون قد اقتسم إيطاليا ثلاث قوى : اللومبارديون فى الشمال ، والبيزنطيون الذين اتخذوا من رافنا عاصمة لهم فضلا عن أجزاء لهم فى الجنوب ، ثم مدينة روما وما يتبعها من البلاد التى يتولى أمرها البابوات [٣] .

وجدير بالذكر ، أنه على الرغم من توغل اللومبارديين داخل شبه الجزيرة الإيطالية واستيلائهم على المدن العديدة إلا أنهم لم يتمكنوا من السيطرة على المدن الساحلية . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى افتقارهم للأساطيل وعدم خبرتهم بالشئون البحرية [٤].

وبعد مقتل كلف أجمع أدواق اللومبارد على عدم تعيين ملك عليهم وأن يظل العرش خاليا فيستأثر كل منهم بالحكم داخل دوقيته [٥] . وكان سبب التفكير فى ذلك نابعا من شعورهم بعدم الحاجة إلى ملك يحكمهم هذا الوقت على الأقل [٦]. وقد وجد

---

(١) Paul the Deacon, op. Cit; P. 86; Oman, op. Cit; P. 186.

(٢) Thatcher and Schwill, op. Cit; Loc. Cit.

(٣) السيد الباز العرينى : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(٤) Thatcher and Schwill, op. Cit; P. 448; Mastermann. Op. Cit; P. 82 .

(٥) Paul the Deacon, op. Cit; P. 86; Deanesly, op. Cit; P. 249; Peter, op cit; P. 136.

(٦) Oman, op cit; Loc. Cit.

فى آن واحد فى هذه الفترة الزمنية ست وثلاثون من الدوقيات اللومباردية ، كل منهم يسعى للاستحواذ على السلطة والنفوذ. فعادوا بذلك مرة أخرى إلى نطاق الحكم الذى كانوا يخضعون له قبل دخولهم إيطاليا [١] .وقد ادى ذلك الوضع إلى تمزق القوى اللومباردية مما شجع أعدائها البيزنطيين على التطاول ومحاولة استعادة بعض الأراضى فى إيطاليا [٢] . ففى عام ٥٨٢م أرسل الإمبراطور البيزنطى موريس (٥٨٢ – ٦٠٢م) إلى الملك الفرنجى تشيلدبرت **Childpert** مبلغا كبيرا من المال والهدايا مقابل مساعدة جيش بيزنطه ضد اللومبارديين فى إيطاليا. فاستجاب ملك الفرنجة لهذا النداء، وخرج على رأس جيش كبير تجاه إيطاليا ، وما أن علم اللومبارديون بذلك حتى أخذوا يستعدون بتحصين مدنهم وقلاعهم ، ولكن بمجرد وصول الملك تشيلدبرت إلى حدود مملكة اللومبارديين ، تبودلت الرسل والهدايا والأموال بين الطرفين ، وانتهى الأمر بعقد معاهدة سلام بينهما . وعاد الملك الفرنجى إلى بلاده . وأصبح اللومبارديون منذ ذلك الحين أصدقاء وحلفاء للفرنجة [٣] وعلى الرغم من أن المصادر لم تفصح عن السر فى إنهاء الموقف بين الفرنجة واللومبارديين على ما تم عليه ، فإن المؤرخ جريجورى التورى **Gregory of Tours** يرى أن اللومبارديين أظهروا الخضوع لسلطان الفرنجة وأن تلك الأموال التى تسلمها تشيلدبرت تمثل جزءاً من الجزية المفروضة عليهم [٤] .

ومهما كان الأمر ، فقد أدرك أدواق اللوبارد بعد هذا الموقف مدى احتياجهم

---

(١) جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ٨٣ –٨٤ راجع أيضاً :

Dury, op. Cit; P. 93; Thatcher and chwill, op. Cit; P.83; Oman, op. Cit; PP. 186 – 187; Mastermann, op. Cit; Loc. Cit.

(٢) Deanesly, Op. Cit; P. 249 .

(٣) Paul the Deacon, op. Cit; P. 117; Gregory of Tours, the history of the Franks, Translated by Lewis Thorpe, Newyork, 1974, P. 375.

(٤) Gregory of Tours, op. Cit; Loc. Cit.

الشديد لتوحيد كلمتهم من جديد تحت زعامة واحدة تساعدهم فى القضاء على الفوضى والاضطراب فى مختلف الدوقيات من ناحية ، وفى التخطيط لصد أى عدوان خارجى يهدد كيانهم من ناحية أخرى. وهكذا وبعد مضى عشرة أعوام من مقتل الملك الأسبق كلف تم اختيار ابنه أوثارى Authari ملكا عليهم عام ٥٨٤ [١] . وحدث ذلك فى الوقت الذى كان فيه قلة من الأدواق يشكلون مراكز قوى كبيرة بين باقى الدوقيات اللومباردية. ولا أدل على ذلك من موقف دوقيتى بنفنتو وسبوليتو حيث رفضنا تقديم الطاعة الفعلية للملك الجديد ، وظلتا خاضعتين له من الناحية الشكلية والاسمية فقط. وهذا ما سبب للملك أوثارى كثيرا من المشاكل والصعوبات فى حكم مملكته [٢] .

ولعل أهم ما يميز عهد الملك أوثارى تلك الانتصارات التى حققتها جيوشه ضد الفرنجة فى معركتين متتاليتين عامى ٥٨٨ و ٥٩٠م وسبب المعركة الأولى أن الملك أوثارى كان قد أرسل سفارة إلى ملك الفرنجة تشيلدبرت لطلب الموافقة على زواج ملك اللومبارديين من أخته تدعيما لأواصر الصداقة والمحبة بين الطرفين وقد رحب ملك الفرنجة بهذه السفارة وأبدى موافقته على إتمام هذا الزواج ، غير أنه فى نفس الوقت وصلت سفارة من ريكارد ملك القوط الغربيين فى أسبانيا (٥٨٦ – ٦٠١) يطلب زواج نفس الفتاة من ملكهم. فاضطر الملك تشلدبرت الموافقة على العرض الأخير ضاربا بموافقته السابقة لملك اللومبارديين عرض الحائط بسبب تحول القوط الغربيين فى ذلك الوقت إلى المسيحية الكاثولوكية ، بينما كان الملك أوثارى يدين بالأريوسية [٣] . ولذلك ساءت العلاقات بين الفرنجة واللومبارديين ، الأمر الذى جعل الملك تشيلدبرت يعرض على الإمبراطور البيزنطى موريس التعاون معا للقضاء على اللومبارديين وإخراجهم من

---

(١) Paul the Deacon, op. Cit; PP. 113 – 114; Secundus of Trent, op. Cit; P. 30, cf also: Dury, op cit; P. 39; Deanesly, op. Cit; P. 250 .

(٢) Thatcher and Schwill, op. Cit; Loc. Cit .

(٣) Paul the Deacon, op. Cit; PP. 136 – 137; Gregory of Tours, op. Cit; P. 512.

إيطاليا ، واندلعت الحرب ضاربة بين الجانبين التى انتهت لصالح اللومبارديين [١]. الأمر الذى جعل الملك الفرنجة يرسل جيشا كبيرا للمرة الثانية عام ٥٩٠م لتحقيق نفس الهدف ، ولكن محاولاته باءت بالفشل وانهزم جيشه مرة ثانية رغم نجاحه فى تدمير بعض المعاقل والحصون اللومباردية [٢] . وثمة تطور آخر هام حدث فى عهد أوثارى هو زواجه من تيودلند **Theudelinda** ابنة دوق بافيا عام ٥٩٠م ، وهى أميرة كاثوليكية ، الأمر الذى نجم عنه اعتناق أوثارى للمذهب الكاثوليكى وانتشار الكاثوليكية بين الشعب اللومباردى [٣] . ولكن هذه الأميرة لم تمكث معه فترة طويلة، إذا وافته المنية فى الخامس من سبتمبر من نفس العام [٤] . وقد انتهز أدواق اللومبارد فرصة وفاة مليكهم وأرسلوا سفارة إلى ملك الفرنجة لإعادة السلام معه. فاستقبل الملك هذه السفارة استقبالا حسنا ووعد بتحقيق السلام مستقبلا [٥] .

وأبدى الأدواق بعد ذلك رغبتهم فى تفويض ثيودلندا لاختيار أحدهم ليكون زوجا لها وملكا على اللومبارديين . فوقع اختيارهم على أجيلولف **Agilulf** دوق تورين **Torin** وابن أخ الملك الراحل [٦] .فحكم نحو خمسة وعشرين عاما (٥٩٠ – ٦١٦م) تحسنت خلالها العلاقات مع الفرنجة ، وعقد معاهدة سلام مع ثيودريك **Theuderic** ملك الفرنجة [٧] . وقد شجع ذلك اجيلو على أن يخوض حروبا عديدة

---

(١) Ibid, Hodkin, op. Cit; v, PP. 260-261; Hartmann, op cit; P. 83.

(2) Paul the Deacon, op. Cit; PP. 141 – 143.

(٣) كانت هذه الفتاة خطيبة سابقة لتشلدبرت ملك الفرنجة ، وكانت أختها زوجة الدوق اللومباردى ايوين **Euin** دوق ترنت **Trent** انظر :

Paul the Deacon, op. Cit; P. 137, n. 3., Oman, op. Cit; P. 260.

(٤) Paul the Deacon, op. Cit; P. 137; Hodkin, op. Cit; V, P. 275.

(٥) Paul the Deacon, op. Cit; PP. 149; Gregory of Tours, op. Cit; P.551.

(٦) Ibid .

(٧) Idem, P. 160.

ضد الإمبراطورية البيزنطية ، وينجح فى انتزاع أجزاء جديدة من أملاكها فى إيطاليا مثل أورت Orte وتودر Tudre وبيروجيا Perugia ، وغيرها من مدن جنوب توسكانيا . وظلت الحروب مستمرة بين الطرفين حتى تدخل البابا جريجورى الكبير (٥٩٠ – ٦٠٤م) لإقرار الصلح بينهما عام ٥٩٩م تعهد بمقتضاه نائب الإمبراطور فى رافنا يدفع خمسمائة قطعه ذهبية سنويا إلى اللومبارديين [١] . وكان للملكة ثيودلندا دور كبير فى إقناع زوجها الملك أجيولف لعقد هذا الصلح . ولذلك أرسل إليها البابا خطابا يشكرها فيه ، ويؤكد مباركة الكنيسة لها ورضاها عنها [٢] . وفى نفس الوقت أرسل البابا أيضا خطابا مماثلا إلى الملك أجيولف يعبر عن امتنانه وحبه وتقديره

---

(١) لم يتدخل البابا فى إقرار الصلح من تلقاء نفسه وإنما بعد إلحاح شديد من قبل الإمبراطور موريس بعد أن أدرك صعوبة ما تعانيه الإمبراطورية البيزنطية فى ذلك الوقت من جراء حروبها ضد الأفار والسلاف على حدود الدانوب إلى دجانب ثورات العبيد . انظر :

Paul the Deacon, op. Cit; PP. 154 – 155; cf also: Deanesly . op. Cit; P. 250; Oman, op. Cit; P. 194.

(٢) ورد نص هذا الخطاب ضمن كتاب بولس الشماس وترجمة :

من جريجورى إلى ثيودلندا ملكة اللومبارديين :

علمنا من تقرير ابننا بروبوس **Probus** أنكم كرستم أنفسكم من أجل تحقيق السلام. ولم يكن ذلك بالأمر الجديد عليكم لأننا عهدنا فى شخصكم العظيم الحماس الشديد وحب الخير. ولم يكن ذلك نابعا من اخلاصكم للمسيحيين فحسب ، وأنها من نواياكم الطيبة تجاه السلام. ولذا فإننا نتوجه بالشكر إلى الرب القدير الذى يملأ حبه قلبكم ، فإنه لم يمنحكم الإيمان بنصرة الحق فحسب ، بل ساعدكم أيضا على تكريس أنفسكم للأعمال الطيبة التى تزيد من سروره . ونشكركم يا خير البنات لرغبتكم الصادقة فى تحقيق السلام . ونتضرع إلى الرب أن يضاعف لكم الجزاء والثواب ويطهر روحكم فى الحياة الدنيا والأخرى . نكرر تحيتنا مع مزيد من الحب الأبوى لسيرة السلام التى خضتها مع زوجك العظيم الذى وافق على التحالف مع دولتنا المسيحية. ونعتقد ، وأنت أيضا تعلمين ، إنه ينبغى على زوجك أن يظل فى كل الأحوال راغبا فى صداقة دولتنا. ولكى يتحقق ذلك لابد وأن تشغلى نفسك كما تعودت دائما ،بالتوفيق بين مختلف الأطراف لتصبح جهودك الطيبة أكثر كمالا أمام الرب القدير وتفوزى بالجزاء الكبير المرتقب به .

راجع : Paul the Deacon, op. Cit; PP, 155 – 156.

لموافقته على إتمام الصلح مع بيزنطه [١]. ولكن لم تلبث وأن تجددت الحرب بين الطرفين عندما تجرأ النائب الإمبراطورى جاليكينوس Galicinus على أسر ابنة الملك أجيلولف وزوجها وأطفالها أثناء عبورهم أراضى الإمبراطورية عام ٦٠٢ فى عهد الإمبراطور فوكاس (٦٠٢ - ٦١٠م) [٢]. فاستولى اللومبارديون فى هذه المرة بالتعاون مع حلفائهم الأفار على مادوا ومانتوا ، فضلا عن بعض القلاع القوية على ساحل البندقية [٣] . وانتهى الأمر بعقد معاهدة سلام اخرى بين الطرفين تعهدت فيها الإمبراطورية البيزنطية بدفع جزية سنوية إلى اللومبارديين تعادل ألف ومائتى قطعة ذهبية بجانب التنازل عن جنوب توسكانيا [٤] .وظل السلام سائدا بينهما فترة من الزمن بسبب انشغال الإمبراطورية بحروبها ضد الفرس [٥] . وتحولت الأمور فى صالح اللومبارديين ، فانتهز أجيلوف هذه الفرصة وأخذ يستكمل سيطرته على إيطاليا [٦] . ولكن فى الوقت واجهته صعوبات أخرى من جانب الأفار والسلاف على الحدود

---

(١) جاء هذا الخطاب فى كتاب بولس الشماس وترجمته :

من جريجورى إلى أجيللف ملك اللومبارديين ، نتوجه بالشكر إلى عظمتكم لاستجابتكم للنداء الذى وجهناه لكم لتحقيق السلام الذى سوف ينتج عنه مزايا كثيرة لكلا الطرفين. ولذا فإننا نمدح حصافة سموكم وطيبتكم. وقد اتضح لنا من حبكم للسلام أنكم تحبون الرب صاحب السيادة العليا . ولو لم يتم السلام، لا قدر الله ، لحدث سفك لدماء المزارعين التعساء من كلا الجانبين ، ولأدى ذلك إلى الوقوع فى الخطيئة. ولكننا نشعر الآن بمزايا ذلك السلام الذى حققتموه . إننا نصلى من أجلكم ، ونرسل لكم تحيتنا المشفوعة بالحب الأبوى . ويمكنك أن تبعث برسائلك إلى أدواق اللومبارد فى شتى الأنحاء ، خاصة أولئك الموجودين فى الأطراف ، مذكراً إياهم بضرورة الحفاظ على هذا السلام عند نقضه".

انظر : Paul the Deacon, op, cit; PP. 157-158.

(٢) Paul the Deacon, op. Cit; P. 165; ct. also: Oman, op. Cit; Loc. Cit.

(٣) محمد الشيخ : المرجع السابق ، ٢٤٧ .

(٤) Paul the Deacon, op. Cit; P. 174 – 175, 177.

(٥) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ١١٢ انظر أيضا:

Oman, Op. Cit; PP. 194 – 195.

(٦) Ibid .

الشمالية الشرقية . فلقد أصبح السلاف جيرانا لإيطاليا ومصدر قلق لها . أما الأفار فكانوا أكثر نشاطا وخطرا حيث لم يقيموا وزنا للمعاهدات المبرمة مع أجيلولف. وأخذوا يشنون هجماتهم على شمال إيطاليا [١]. ففى عام ٦١١م حشد كاجان ملك الأفار جيشا كبيرا وخرج على رأسه قاصدا الأراضى اللومباردى فاتجه إلى البندقية فتصدى له جيسولف Gisulf دوق فروم جولى Forum Jolii مع عدد قليل من مقاتلى اللومبارد. ورغم ما أبداه هؤلاء اللومبارد من شجاعة فى مواجهة الأفار إلا أنهم لم يتمكنوا من الصمود طويلا لقلة عددهم ، فحاصرتهم قوات الأفار من كل جانب ودمرتهم عن أخرهم وقتل جيسولف ، وواصل الأفار تقدمهم عبر أراضى دوقية فوروم جولى واستولوا على المدينة نفسها ، وأشعلوا الحرائق فى كل مكان ، وقتلوا كثيرا من أهالى اللومبارد ، وسبوا النساء والأطفال [٢]. وأمام خطر الأفار المتزايد اضطر أجيلولف فى عام ٦١٢م إلى عقد معاهدة سلام مع الإمبراطور البيزنطى هرقل (٦١٠ – ٦٤٨م) لمدة عام. وفى نفس الوقت جدد المعاهدة المبرمة مع الفرنجة [٣] . غير أن ذلك الوضع لم يستمر طويلا بسبب انشغال الأفار بمشروعاتهم فى شبه جزيرة البلقان [٤] .

على كل حال ، رغم أن كثرة الاضطرابات التى صاحبت حكم اجيلولف ، إلا أننا نعتبر عصر هذا الملك نمو واتساع ونضوج حضارى للمجتمع اللومباردى . وفى نهاية حكمه كانت المسيحية الكاثوليكية قد انتشرت وتأصلت بين أفراد المجتمع اللومباردى ، فأخذ اللومبارديون يهتمون ببناء الكنائس بدلا من تدميرها [٥].

وبعد وفاة أجيلولف عام ٦١٦م خلفه ابنه الوحيد أدلوالد Adaloald تحت

---

(١) Ibid.

(٢) Paul the Deacon, op. Cit; P. 179 – 180.

(٣) Idem, P. 189.

(٤) محمد الشيخ : المرجع السابق ص ٢٤٨ .

(٥) Oman., op. Cit; Loc. Cit .

وصاية أمه ثيودلندا لصغر سنه ، لأنه لم يبلغ من العمر وقتها أكثر من أربعة عشر عاما. وظل الوضع على هذا الحال لمدة عشر سنوات ، ثم تنحى بعدها عن العرش لإصابته بالجنون [١] . فاختار اللومبارديون أريوالد Ariaold دوق تورين ملكا عليهم وظل يحكم لمدة اثنتى عشر سنة اتسمت أحوال المملكة خلالها بالهدوء والاستقرار النسبى [٢] . وبعد وفاته تولى حكم اللومبارديين أشهر ملوكهم وأهمهم فى التاريخ وهو روثير Pothair (٦٣٦ – ٦٥٢م) دوق برسكيا Brescia [٣]. وقد تم تتويجه على عرش المملكة اللومباردية بموافقة جميع نبلائها [٤]. وبالرغم أنه كان يتصف بالشجاعة والعدل وقوة الشخصية وكثير من الصفات الأخرى الطيبة ، إلا أنه كان قاسيا جدا فى معاملة الغير ، وخاصة أولئك النبلاء الذين أظهروا التمرد والعصيان . فقام بقتلهم، وفى نفس الوقت كان حانقا على زوجته جانديبرجا Gundiperga أرملة الملك السابق بسبب اعتناقها المسيحية الكاثولوكية فى الوقت الذى كان يدين هو فيه بالأريوسية فقام بحبسها فى أحدى غرف القصر الملكى حتى تكون بمعزل عن الاخرين [٥] . وقد نجح روثير فى اتمام غزو شمال إيطاليا بعد أن استولى على الإقليمين الذين كانا لا يزالان خاضعين للإمبراطورية البيزنطية وهما الساحل الليجورى Ligurian Coast المتد من نيس Nice إلى لونا Luna ومدينة أودرزو Oderzo آخر ممتلكات البيزنطيين ناحية البندقية [٦] . وقد حصل روثارى على

---

(١) Paul the Deacon, op. Cit; P. 190; cf also: Oman, op.cit; P. 196.

(٢) Ibid .

(٣) Ibid; Deanesly, op. Cit; P. 250.

(٤) Hodkin, op. Cit; vl, P. 165.

(٥) Ibid.

(٦) Paul the Deacon, op. Cit; PP. 199 – 200; cf. Also: Oman, op cit; Loc, cit; Hodkin op. Cit; vl; P. 168.

هذه الجهات بعد قتال شاق ضد البيزنطيين [١] وكان من أهم المعارك التى خاضها اللومبارديون ضد القوات البيزنطية تلك الغارة الوحشية التى قاموا بها ضد أهالى مدينة رافنا بالقرب من نهر اميليا **Emilia** وحققوا فيها انتصارا كبيرا ، وقد راح فيها ما يقرب من ثمانية آلاف مقاتل بينما لاذ الباقون بالفرار [٢].

ولا ترجع أهمية روثير فى التاريخ إلى أمجاده الحربية وانتصاراته السابقة فحسب ، وإنما ترجع أيضا إلى جهوده وإخلاصه فى العمل من أجل رفع شأن المجتمع اللومباردى بين باقى المجتمعات الأخرى المعاصرة آنذاك. وقد اتضح ذلك فيما أصدره من مجموعة القوانين اللومباردية فى ٢٢ نوفمبر عام ٦٤٣م والتى لم يسبق تدوينها من قبل على الإطلاق ، فكانت العدالة قبل إصدار تلك القوانين تقتص من المخطئين فى حق المجتمع من خلال العرف والعادات والتقاليد القديمة والمحفوظة شفهيا والمتوارثة عن الأجداد والأباء [٣] . وبالرغم من أن هذه القوانين والتشريعات التى أصدرها روثارى تعد بدائية إلى حد كبير تصور أحوال شعب جرمانى يعيش على الفطرة أكثر من تصويرها لشعب أصبح يحيا فى قلب إيطاليا ، إلا أنها كانت عملا هاما حفظ تراث هذا الشعب من الضياع [٤]. وتتكون هذه المجموعة القانونية من ٣٨٨ مادة تولى صياغتها وكتابتها كاتب العدل أنسوالد **Answald** [٥] وقد نظمت المواد القانونية فى جملتها العلاقة بين أفراد المجتمع اللومباردى من ناحية، وبينهم وبين السلطة الحاكمة من ناحية أخرى ضمانا لنشر السلام والطمأنينة والأمن فى قلوب اللومبارديين [٦] .

---

(١) سيد عاشور : المرجع السابق ، ص ١١٤.

(٢) Paul the Deacon, op. Cit; P. 200.

(٣) Idem, P. 195; Hodkin, op. Cit; Loc. Cit.

(٤) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ١١٤ ، محمد الشيخ : المرجع السابق ص ٢٤٩.

(٥) Hodkin, Op. Cit vl P. 175.

(٦) Idem, P. 176.

وقد عالج قانون روثير قضايا متعددة ، يتعلق بعضها بأمن الملكة والحفاظ على حياة عاهلها [١]. بينما يتعلق البعض الآخر بأمن الأفراد واستقرارهم والحفاظ على حياتهم بكامل هيئتهم وحواسهم دون إصابتهم بأى من العاهات المستديمة. ويتضح ذلك من خلال ما جاء بالمواد القانونية المختلفة [٢] . كما نظم القانون أيضا عمليات البيع والشراء واكد على ضرورة الرفق بالحيوانات . ففرض عقوبات مشددة لمن يخل بهذا العمل الإنسانى، كما فرض عقوبات صارمة على جرائم الأفراد المختلفة من سرقة وقتل واختطاف وزنا وانتهاك حرمة بيوت الغير [٣] . ولم ينس المشرع وضع المرأة فى المجتمع اللومباردى ، فحظيت باهتمام كبير منه عندما أدخل كثير من النصوص

---

(١) تنص المادة الأولى من قانون روثير على أن "كل من يتآمر ضد حياة الملك أو حتى يشترك مع الآخرين بتقديم مشورة فى ذلك الأمر يعاقب بالقتل وتصادر أملاكه" . انظر :

Rothair, King Rothair's Edict, cf. The Lombard Laws, translated From the original Latinby Katherine Fischer Drew, philadelphia, 1973: titles, 1,7,8.

(٢) كل من جدع أنف الأخر يدفع له فدية توازى نصف القيمة المقدرة لطبقته أما إذا قطع أحدى شفتيه يتحمل دفع تعويض مالى يعادل ١٦ صلديا (ما يقرب من ثمانى جنيهات استرلينية). أما إذا أصابه بكسر ثلاث أسنان أو أقل فتصل قيمة التعويض إلى عشرين صلدا . لمزيد من التفصيلات راجع :

Rothairs Edict, titles, 46 – 47, 377, 382 – 385 .

(٣) "إذا أمر أحد الرجال الأحرار ابنه أو عبده بارتكاب جريمة السرقة ثم اكتشف الأمر فيما بعد ، يلتزم بدفع تسعة أضعاف قيمة المسروقات إلى المالك الأصلى لها . ثم يدفع مبلغا مساويا إلى خزينة الملك ". راجع :

Rothair's Edict, title, 259.

" أما إذا كان السارق عبدا مملوكا لأحد السادة وارتكب جريمته دون علم سيده يلتزم هذا السيد بتنفيذ أحد أمرين : أما أن يدفع الغرامة الموضحة بعالية أو قتل هذا العبد " راجع نفس المصدر ، المادة ٢٥٤.

أما فيما يختص بجرائم القتل فعلى سبيل المثال تنص المادة العاشرة من هذا القانون على أنه " إذا تآمر أحد الأحرار ضد حياة رجل آخر ولم يمت ، يتحمل الجانى دفع عشرين صلدا كتعويض لما اقترفه من شروع فى القتل. أما إذا مات المجنى عليه وكان مع الجانى شريك آخر فيدفع أحدهما أو كلاهما معا تعويض يقدر بـ ٩٠٠ صلدا ، تحصل أسرة القتيل على نصف المبلغ بينما يؤول النصف الآخر إلى خزينة الملك باعتباره =

القانونية المنظمة لأحوالها وأوضاعها داخل المجتمع من حيث حقوقها ، واجباتها وكيفية الحفاظ على ممتلكاتها والتصرف فيها ، والوصاية عليها وحقها فى الميراث. فضلا عن تنظيم شئون زواجها بدءا من الخطبة حتى الزواج [١] ويتضح أيضا من قانون روثير أن المجتمع اللومباردى قد عرف النظام الطبقى [٢]. فهناك طبقة الأحرار المكونة من النبلاء ورجال الدين ثم طبقة نصف الأحرار [٣] . وأخيرا طبقة العبيد وهى أقل الطبقات الاجتماعية مرتبة فى ذلك المجتمع [٤] . وقد أباح هذا القانون للأجانب عن العناصر اللومباردية حق المعيشة داخل حدود الملكة اللومباردية طبقا لقوانينهم الخاصة بشرط موافقة الملك على ذلك [٥]. تلك هى أهم السمات الرئيسية التى تضمنها قانون روثير .

=مسئولا عن تحقيق العدالة. أما إذا كان الجناه أكثر من فردين يدفع كل منهم قيمة الضحية طبقا لمركزه الاجتماعى " راجع :

Rothair's Edict; titles, 10, 14.

(١) لمزيد من التفصيلات ، انظر على سبيل المثال:

Rothair's Edict, titles, 178 – 179, 185,195,197,204 – 222,235.
Oman, op. Cit; P. 197.

(٢) Oman, op. Cit; P. 197.

(٣) فيما يتعلق بطبقة نصف الأحرار راجع : أسامة زيد : المرأة اللومباردية فى ضوء قوانين اللومبارد ، الإسكندرية ١٩٨٦ ، ص ٣٠.

(٤) كانت هذه الطبقة تنقسم إلى نوعين ، عبيد المنازل (أى عبيد الخدمة المنزلية) وتراوحت دية الفرد منهم ما بين ٢٠ ، ٥٠ صلدا طبقا لإمكانياته ومهاراته . ثم عبيد المزارع وقد اختلفت أيضا ديته وتراوحت ما بين ١٦ و ٢٠ صلدا. وبطبيعة الحال لم يكن لأولئك العبيد أهلية لممارسة حقوقهم وإنما كان ذلك من خلال سادتهم. وكان يحق للسيد أن يرفع العبد أو الأمة إلى مرتبة نصف الأحرار أو الأحرار. ففى الحالة يظل تحت حماية سيده ، أما فى الحالة الثانية فيمكنه أن يعيش فى حرية تامة بين طبقة الأحرار . راجع :

Kathrine, op. Cit; PP. 30 – 31.

ولمزيد من التفصيلات عن التحرر من العبودية راجع: أسامة زيد : المرجع السابق ، ص ٣٢.

(٥) Hodkin, op. Cit; vl, P. 231.

وبوفاة روثير عام ٦٥٢م عمت الفوضى والاضطرابات أنحاء المملكة وغرق اللومبارديون فى الحروب الأهلية [١] وتنتج عن ذلك أن تولى عرش المملكة خلال فترة لا تزيد عن عشر سنوات أربعة ملوك هم وودوالد بن روثير الذى حكم خمسة شهور وسبعة أيام ثم أريبرت Aripert (٦٥٣ – ٦٦١م) ثم ابنه بر كتاريت Perctarit وجود برت Godepert اللذان حكما معا [٢] وكان ذلك فى الوقت الذى كانت الإمبراطورية البيزنطية تحاول أن تستعيد نفوذها الضائع فى إيطاليا فى عهد الإمبراطور قنسطانز الثانى (٦٤١ – ٦٦٨) ونجحت بالفعل فى استرداد بعض المدن والتزم اللومبارديون من ذلك الوقت بسياسة الدفاع [٣] وكان الصراع الدائر بين الأخوين الحاكمين على أشده فانتهز جريموالد دوق بنفنتو هذه الفرصة واخذ يخطط من أجل الإستيلاء على عرش المملكة لإعادة توحيدها من جديد وتعويض ما فاتها فى السنوات العشر السابقة وقد ساعدته الظروف كثيرا عندما أرسل إليه جودبرت أحد رسله ويدعى جاريبلد Garipald دوق تورين يطلب منه الحضور إلى تيكينوم مع قواته لمساعدته ضد أخيه بركتاريت. وعندما وصل المبعوث إلى جريموالد أخذ يحثه على ضرورة الاستئثار بالسلطة والتاج اللومباردى بدلا من هذين الأخرين الذين أضعفا المملكة بسبب صراعهما وتنافسهما على السلطة. ولما اختمرت الفكرة فى ذهن جريموالد قرر الخروج إلى الملك جودبرت ، ونجح هو فى طريقه من بنفنتو إلى تيكينيوم أن يستميل حكام المدن الواقعة بينهما ليكونوا حلفاء مساندين له فى الوصول إلى العرش. وعندما وصل إلى حدود تيكنيوم أرسل جاريبالد إلى الملك ليعلن قدومه. ولكن يبدو أن هذا المبعوث كان لا يريد خيرا للملكة اللومباردية لأنه بمجرد أن قابل الملك

---

(١) محمد الشيخ : المرجع السابق ، ص ٢٥٠.

(٢) Paul the Deacon, op. Cit; PP. 201 – 202; Hodkin op. Cit; Vl; PP. 241– Masterrmann, op. Cit; P. 93; Oman, op. Cit; PP. 272 – 273.

(٣) Ostrogorsky, History of the Byzantine state, Oxford, 1956, P.109.

أخذ يحذره من جريموالد ويوسوس له ويحرض كل منهما ضد الآخر. وانتهى بمقتل جودبرت على يد جريموالد وتولى هذا عرش مملكة اللومبارديين دون أن يراعى حقوق بركتاريت فى العرش[١]. فخاف الأخير على حياته وغادر البلاد متنكرا والتجأ إلى كاجان ملك الآفار طالبا حمايته. وعندما علم جريموالد بهذا الأمر أرسل سفارة إلى ملك الأفار يطلب منه تسليمه بركاريت حتى لا ينهار السلام القائم بينهما. ولكن كاجان رفض فى بداية الأمر أن يتخلى عن حماية كتاريت خوفا من غضب الألهة فساءت العلاقات بينه وبين ملك اللومبارديين فأرسل الأخير سفارة أخرى إلى كاجان يهدده بالحرب. فاضطر كاجان أخيرا إلى أن يتخلى عن وعده بحماية بركتاريت ، فطلب منه مغادرة حدود مملكته. فلم يجد الأخير بدا من الذهاب إلى جريموالد والخضوع لطاعته وطلب العفو والأمان منه [٢]. ولكن يبدو أن العفو الذى حصل عليه بركتاريت كان مؤقتا لأن جريموالد دبر مؤامرة لقتله بالسم عندما شعر بحب أهالى بافيا له وتأييده فأدرك أن وجوده على قيد الحياة إنما يهدد عرشه وطموحه. ولكن مؤامرته لم تنجح وانكشف أمرها أمام بركتاريت مما جعله يهرب للمرة الثانية إلى أرض الفرنجة [٣]. وكان ذلك فى الوقت الذى خرجت فيه جيوش الفرنجة من مقاطعة بروفانى فى طريقها إلى إيطاليا للقضاء على اللومبارديين. وعندما علم جريموالد بذلك خرج بنفسه على رأس جيش كبير لملاقاة الفرنجة وآثر استخدام الحيلة والدهاء ضد أعدائه ، فتظاهر بالفرار مع قواته أمامهم وترك معسكره ، كما هو عليه بعد أن وضع فى الخيام كثيرا من النبيذ وألذ وأشهى الأطعمة. وعندما وصل الفرنجة ناحية المعسكر. ووجدوه خاليا اعتقد قادتهم أن اللومبارديين قد لاذوا بالفرار خوفا منهم. فاستولوا على المعسكر وبينما هم

---

(١) Paul the Deacon, op. Cit; PP. 205 – 209; cf. also Hartmann, op cit; P.275; Hodkin op. Cit; vl; PP. 242 – 243, Mastermann, op P. 93.

(٢) . Paul the Deacon, op. Cit; PP. 209– 210

(٣) Idim, P. 213.

منغمسين فى الشراب والطعام احتفالا باستيلائهم على ما وجدوه داخل معسكر اللومبارديين اندفع نحوهم الجيش اللومباردى وقضى على معظمهم ، ولم يهرب إلا شرذمة قليلة منهم [١] . ورغم ذلك ، فإن العلاقات بين مملكتى الافرنجة واللومبارديين قد تحسنت كثيرا فى أواخر أيام جريموالد فعقدت معاهدة سلام بين الطرفين وكان أهم بنودها أن يوافق ملك الفرنجة على طرد كتاريت خارج حدود بلاده. وعندئذ اضطر الأخير أن يغادر بلاد الفرنجة واتجه إلى مدينة كنت Kent بالجزيرة البريطانية وظل فى حماية السكسون بها [٢] .

مهما كان الأمر ، نجح جرموالد فى نهاية الأمر فى أن يعتلى عرش اللومبارديين بتأييد معظم نبلاء المملكة عام ٦٦٢م ورغم قصر المدة التى حكم فيها (٦٢٢ - ٦٧١م) إلا أنها كانت مليئة بالأحداث الهامة والصراعات ضد بيزنطة الأمر الذى أدى إلى تمجيده من قبل شعراء اللومبارديين [٣] . ولقد واجه اللومبارديون أثناء حكمه خطرين كبيرين من قبل الإمبراطورية البيزنطية من ناحية، والأفار من ناحية أخرى. فقدر خرج الإمبراطور قنسطانز من القطسنطينية على رأس جيش كبير بهدف استعادة نفوذ الإمبراطورية فى إيطاليا ، فاتخذ طريق الساحل حتى وصل أثينا ، ومنها عبر البحر وعسكر عند تارنتوم [٤] . ثم غادرها وواصل طريقة حتى وصل إقليم بنفنتو فاستولى على معظم مدنه ، ثم شده حصاره على المدينة نفسها حتى كادت تسقط فى يده ولكن حاكمها الدوق روموالد Romuald أرسل إلى أبيه الملك جريموالد فى تيكينيوم Ticinum يطلب النجدة، فخرج هذا مسرعا على رأس جيشه، وعندما اقترب من المدينة المحاصرة أرسل أحد قادته يدعى سيسوالد Sesuald ليطمئن ابنه ويحثه على

---

(١) Idem, P. 217.

(٢) Idem, P. 237.

(٣) Hodkin, op. Cit; VI, P. 239.

(٤) Paul the Deacon, op. Cit; PP. 174 – 175, 177.

الصمود حتى وصوله. ولكنه وقع أسيرا فى قبضة البيزنطيين. وعرف الإمبراطور منه باقتراب جريموالد وجيشه من مدينة بنفنتو ، فأخذ بنصيحة مستشاريه وعقد معاهدة سلام مع روموالد. ولكن هذا السلام كان مؤقتا لأنه بمجرد وصول الجيش اللومباردى أمام مدينة بنفنتو اشتبك فى معارك ضارية مع القوات البيزنطية انتهت بانتصار اللومبارديين وانسحاب القوات البيزنطية [١]. وكان جريموالد قد أناب عنه فى إدارة شئون المملكة الدوق لا باس **Lupus** أثناء غيابه فى المعركة السابقة. ويبدو أن هذا الدوق قد أساء التصرف فأظهر وقاحة وجشعا معتقدا بعدم عودة الملك، ولكن خاب ظنه، فما لبث أن علم بقرب وصول الملك إلى تيكنيوم، حتى خشى على نفسه فهرب إلى دوقية فورم جولى **Form Julii** وكون جبهة معارضة ضد الملك جريموالد [٢]. ولما كان الأخير لا يرغب فى قيام حرب أهلية بين اللومبارديين فكر فى الاستعانة بكاجان ملك الأفار للقضاء على تمرد لا بأس واستجاب هذا للنداء وتحرك بجيش كبير تجاه دوقيه فوروم جولى، ونجح فى قتل لا بأس، والقضاء على باقى المتمردين، ولكنه رفض بعد ذلك مغادرة الأراضى اللومباردية فاضطر جريموالد إلى حشد قواته والتحرك لطرد الأفار بالقوة. وعندئذ أدرك الملك كاجان عدم قدرته على مواجهة اللومبارديين ، واضطر إلى الانسحاب والعودة إلى بلاده [٣]. وهكذا نجحت المملكة اللومباردية بقيادة جريموالد فى أن تحافظ على حدودها وأن تثبت أقدمها فى إيطاليا وأن تبعد عنها كل الأخطار.

وبعد تسعة أعوام وافت المنية الملك جريموالد فى التاسع من شهر مايو عام ٦٧١م خلال رحلة من رحلات الصيد التى كان يقوم بها عندما كان يوجه قوسه إلى

---

(١) Idem, PP. 220 – 224; Ostrogoreskey, op cit; Loc. Cit.

(٢) Paul the Deacon, op. Cit; PP. 227 – 228; cf. also: Hodkin op. Cit; vl; P. 286.

(٣) Paul the Deacon, op. Cit; PP. 229 – 230; cf. also: Hodkin op. Cit; vl; P. 286 – 287.

حمامة ، فانفجر أحد شرايين ذراعه فأصيب بنزيف حاد راح ضحيته. ويقال أن الأطباء المكلفين بمعالجته خلطوا السم بالأدوية المعالجة للنزيف فمات مسموما [١] . ولكن يبدو أن هذا القول قد خالف الحقيقة وتجاوزها. فقد أحرز جريموالد نجاحا كبيرا فى صراعه ضد البيزنطيين وضد الأفار فى الفترة الأخيرة ، فأكسبه ذلك شعبية كبيرة بين اللومبارديين على حد قول المؤرخ الإنجليزى شارل أومان [٢] . ومن المستبعد أن يتآمر ضده فيتيح الفرصة لأعداء الملكة لتهديدها والأمر لا يعدو حدوث تلوث بالجرح الناتج عن انفجار شرايين ذراعه مما أدى إلى تسممه وكان ذلك سببا فيما راج من قصص واتهامات.

على أية حال ، ظلت ذكرى الملك جريموالد خالدة فى تراث الشعب اللومباردى، لأنه ترك إنجازا حضاريا كبيراً بإصداره تسعة قوانين فى يوليو عام ٦٦٨ عدت أول إضافة على تشريعات روثير[٣]. ولعل أهم ما يميز هذه القوانين النظرة الإنسانية للحفاظ على الروابط الأسرية والعلاقات الزوجية وتدعيمها والتشدد فى ضرورة عدم الجمع بين زوجين فى آن واحد [٤]. كما أكد على حق الأحفاد فى وراثة أجدادهم بعد وفاة الآباء فى حياة الأجداد [٥] .

وتولى عرش المملكة اللومباردية بعد ذلك بركتريت بن أريبرت عام ٦٧٢م الذى كان هاربا من جرموالد ومستترا عن عيونه. ولكن لما بلغه نبأ وفاته وصل إلى بافيا فالتفت حوله أنصاره القدامى من اللومبارديين وأجمعوا على تنصيبه ملكا عليهم ،

---

(١) Paul the Deacon, op. Cit;P. 230; cf. Also: Hodkin op. Cit; P. 291

(٢) Oman, op. Cit; p. 274.

(٣) Paul the Deacon, op. Cit; P. 236.

(٤) Grimwald, King The Laws, of. Grimwald, translated From the original Latinby Katherine Fischer Drew, Philadephia, 1973; title, 8

(٥) Idim, title, 5 .

وظل يحكم ما يقرب من سبعة عشر عاما (٦٧٢ – ٦٨٩م) بعد أن أشرك معه فى الحكم ابنه كانينكبرت **Canincepert** منذ العام الثامن لحكمه [١]. وعاش اللومبارديين طوال هذه الفترة فى سلام وأمان باستثناء ذلك التمرد الذى تزعمه الأهيس **Alahis** دوق ترنت ضد الملك كانينبرت الذى سرعان ما قاد جيشه ناحية مدينة ترنت وحاصرها من كل جانب ولكن الجنود الموجودون داخل المدينة المحاصرة نجحوا فى عمل ثغرة فى سور المدينة ، واندفعوا فى هجوم غير متوقع ضد قوات بركتاريت وحققوا انتصاراً كبيراً عليها مما عجل بانسحابها فرار الملك بركتريت. ولكن يبدو أن الدوق الاهيس قد ندم على ما فعل ، فذهب إلى صديقه كانينكبرت ابن الملك ليشفع له عند أبيه فتم ذلك واصبح الاهيس منذ ذلك الوقت مخلصاً للملك وولى عهده. ولكن يبدو أن هذا الإخلاص كان لفترة محدودة، فبعد وفاة الملك بكتاريت وتولى ابنه كانينكبرت عرش اللومبارد ، عاد الدوق الاهيس إلى التمرد والعصيان مرة أخرى. ولكن انتهى الأمر بالقبض عليه وقتله [٢] . وظل الملك الجديد يحكم اثنتى عشر سنة إلى أن وافته المنية عام ٧٠٠م فحزن اللومبارديون كثيرا لأنه كان محبوبا من الجميع [٣] وقد عانى اللومبارديين كثيرا بعد ذلك ما يقرب من اثنتى عشرة سنة من جراء المنافسات المستمرة بين الأدواق من اجل السيطرة على التاج اللومباردى ، منتهزين فرصة وجود طفل صغير على العرش هو ليوتبرت **Liutpert** ابن الملك الراحل. فتكالب الجميع على السلطة ، كل منهم يرغب فى الفوز بالوصاية عليه. وظلت الفوضى ضاربة أطنابها فى أنحاء المملكة. وأصبح الأمر يتطلب ظهور شخصية قوية تعمل على لم الشمل من جديد. فتحقق ذلك على يد ليوتبراند **Liutprand** الذى تربع على العرش المملكة عام ٧١٢م

---

(١) Paul the Deacon, op. Cit; P. 263; cf. also Hodkin op. Cit; PP. 315- 320.

(٢) Paul the Deacon, op. Cit; PP. 239 – 240; 249.

(٣) Idem, P. 263; cf. Also : Hodkin, op. Cit; vl, 320.

وظل يحكمها حتى عام ٧٤٤م [١]. وكان هذا الملك من أقوى ملوك اللومبارديين وأكثرهم صيتا بسبب النجاح الكبير الذى وصل إليه حيث بلغت المملكة أوج عظمتها وقوتها فى عهده بشكل لم يعرفه اللومبارديون من قبل فى ظل ملوكها السابقين[٢] .

وجرت محاولتان للتخلص من ليوتبراند والإطاحة به ، أولاهما عندما دبر أحد أقاربه ويدعى روثارى مؤامرة لقتله [٣] . وثانيها ذلك التمرد الذى تزعمه بيمو Pemmo حاكم دوقية فوروم جولى ضد الملك بعد عزله عن حكم هذه الدوقية [٤]. ولكن الملك نجح فى القضاء على هاتين المحاولتين وأنقذ نفسه وعرشه من الدمار . وكان ليوتبراند مشغولا بصفة مستمرة فى تثبيت أقدامه ونفوذه فى أنحاء المملكة .فنجح فى فرض سيادته على الأدواق اللومبارد فى الشمال [٥] . كما استأنف العمل ضد الدولة البيزنطية منتهزا فرصة انشغال الإمبراطور ليو الثالث الأيسورى (٧١٧ – ٧٤٠م) بمسألة مناهضة عبادة الصور والأيقونات ونزاعه مع البابا جريجورى الثانى (٧١٥ – ٧٣١) [٦]. فسار ليوتبراند ناحية المدن البيزنطية فى إيطاليا وأخذ يستولى عليها

---

(١) لمزيد من التفصيلات المتعلقة بهذه الفترة انظر :

(١) Paul the Deacon, op. Cit; PP. 265 – 281; cf. also: Hodkin op. Cit; vl; PP. 320 – 387; Oman, op, cit; PP. 275 - 282.

(٢) Mastermann, op. Cit; P. 120.

(٣) كان هدف روثارى السيطرة على مقاليد الحكم ، فأعد مأدبة فى منزله فى تيكينيوم دعا إليها الملك ليوتبراند ، واستعان ببعض الرجال الأقوياء المسلحين ليتولوا أمر اغتيال الملك أثناء تناوله الطعام ، وشاءت الصدف أن علم الملك بتفاصيل هذه المؤامرة فاستدعى روثارى فى قصره وكشف له حقيقة خيانته، فأدرك روثارى خطورة موقفه فحاول سحب سيفه وقتل الملك ولكن وثب عليه فى الحال أحد أعوان الملك وقتله . راجع : Paul the Deacon, op. Cit; P. 281.

(٤) Idem, P. 295.

(٥) محمد الشيخ : المرجع السابق ، ٢٥٠.

(٦) راجع حول هذا الموضوع : جوزيف نسيم: تاريخ الدولة البيزنطية ص ١٢٣ – ١٣٣، حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٠٢ – ١٥٥.

الواحدة تلو الأخرى بما فيها رافنا عام ٧٢٧م [١].أما بالنسبة لعلاقة ليوتبراند بالفرنجة فكانت طبيعية للغاية خاصة بعد أن أرسل دوق الفرنجة شارل مارتل مبعوثيه عام ٧٣٧ إلى الملك ليوتبراند يطلبون المساعده منه ضد المسلمين بعد توغلهم فى جنوب غاله ووصولهم مقاطعة بروفانس ولم يتردد ملك اللومبارد فى مد العون إلى الفرنجة ، فجهز جيشه وقاده لمساعدة حليفه. ولكن يبدو أن المسلمين فى هذه المرة أدركوا خطورة استمرار القتال ضد جيوش الفرنجة واللومبارديين معا ، فآثروا الإنسحاب ، فقفل الملك ليوتبراند عائدا إلى إيطاليا [٢] .

وهكذا شغل الملك ليوتبراند بمساعدة أصدقائه وحفائه الفرنجة من ناحية والتصدى للأعداء الطامعين فى السيطرة على التاج اللومباردى من ناحية أخرى. فقد حدث فى عام ٧٣٨م أن قام ترانسيماند **Transimand** دوق سبولتو بحركة عصيان وتمرد ضد المملكة. ورغم أن ليوتبراند نجح فى القضاء على هذه الحركة ، إلا أنها كانت السبب فى توتر العلاقات بينه وبين البابا جريجورى الثالث (٧٣١ – ٧٤١م) لأن هذا الدوق نجح فى الهروب إلى روما متخذا منها ملجأ ، ومعتمدا على عطف البابا وتأييده له ولما علم اللومباردى بهذا الأمر طلب من البابا تسليم ترانسيماند إليه وإلا تعرضت ممتلكات البابوية فى وسط إيطاليا للهجوم [٣]. ولما لم يستجب البابا لهذا التهديد اضطر ليوتبراند إلى تجهيز جيش كبير وزحف به ناحية روما وشدد الحصار عليها بعد أن استولى على مدينتى أورتو **Orto** وبومازو **Bomazo** وغيرهما من المدن

---

(١) Paul the Deacon, op. Cit; P. 289; cf. also: Oman, op cit P.282; Hodkin op. Cit; vl; P. 392;Mastermann, op. Cit; P. 121.

(٢) Paul the Deacon, op. Cit; PP. 296 – 297; cf. also: Hodkin op. Cit; vl; P. 475, Oman, op. Cit; P. 285

(٣) Oman, op. Cit; Loc.

جنوب توسكانيا [١] .فأصبح البابا فى موقف لا يحسد عليه ، لأنه إذا كانت البابوية تعتمد من قبل على حماية أباطرة بيزنطه ضد اللومباردبين فى إيطاليا فقد اختلف الأمر الأن وأصبح التعاون بين البابوية والإمبراطورية البيزنطية أمرا مستحيلا خاصة بعد أن أدانت البابوية الحركة اللاأيقونية التى أقرها بعض أباطرة بيزنطة [٢] فعندما واجه البابا جريجورى هذا الموقف تحول إلى طلب المساعدة من شارل مارتل، فأرسل إليه عام ٧٣٩م مفاتيح القبر المقدس مع اثنين من أتباعه أحدهما الأسقف انستاسيوس Anestasius والثانى القس سرجيوس Sergius ليسلماه إياها راجين منه التدخل لمناصرة البابوية ضد اللومبارديين فى إيطاليا حفاظاً على مكانة البابوية وهيبتها ودفاعا عن المدينة المقدسة [٣] ورغم أن شارل مارتل استقبل مبعوثى البابا استقبالا حسنا ومنحهما الهدايا القيمة لحملها إلى البابا إلا أنه لم يوافق على طلب البابا [٤]. وطلب منهما إبلاغ البابا بأنه لا يمكنه أن يرد جميل اللومباردبين بالإساءة إليهم . فلولا مساعدة ليوتبراند له فى محنته ضد المسلمين لما تمكن من الانتصار [٥] ، وعرض على البابا أن يتدخل لفض النزاع بينه وبين اللومبارديين بالطرق السلمية. ولكن البابا رفض

---

(١) Liber Pontificialis, cf. Pullan, B; (ed), Sources history of Medieval Europe From the Mid – Eight to the thirteenth Centurym Oxford, 1971, p.4; Chronicarum quae dicuntur Fredegarii Scholastici Continuationes, ed. By Krusch in M. G H; 11, PP. 178 – 9, cf. Pullan, B: (ed), Sources History of Medieval Eurore From Mid – Eight to the Mid thirteenth century, oxford, 1971, P.5.

(٢) Pullan, Sources for the history of Medieval Europe, Oxford, 1971, P.3.

(٣) Liber Pontificalis, P. 4, cf. Also: Oman, op. Cit; P. 286.

(٤) Chronicaroum quae dicuntur fredegarii Scholastici Continationes, P.5.

(٥) Oman, op. Cit; P. 287.

ذلك مما أدى إلى سوء العلاقات بينه وبين الفرنجة .ثم جاءت وفاة كل منهما عام ٧٤١م راحة كبيرة لجميع الأطراف [١] . ورغم ما حدث ، إلا أن ليوتبراند نجح إلى حد كبير فى تحسين علاقاته مع البابوية على عهد البابا زكريا (٧٤١ – ٧٥٢م)[٢].

جدير بالذكر ، أنه على الرغم من كثرة انشغال ليوبراند فى أمور السياسة والحرب إلا أنه لم ينس العمل من أجل استقرار الأوضاع الاجتماعية فى مملكته. فأصدر مجموعة قانونية كبيرة على نمط تلك التى أصدرها روثير من قبل ليسد بها جميع الثغرات القانونية التى ينتج عنها أى إجحاف والتى ظهرت عند تطبيق قوانين أسلافه. ففى أول مارس عام ٧١٣م أصدر الجزء الأول من هذه المجموعة القانونية ثم اصدر باقى الأجزاء بالتتابع على مر سنوات حكمه المختلفة حتى صدر الجزء الأخير عام ٧٣٥م فى نهاية العام الثالث والعشرين من حكمه [٣] . ولقد أحدث ليوتبراند تغييرا كبيرا فى هذه القوانين يوضح ازدياد قيمة الحياة البشرية فى المجتمع اللومباردى آنذاك ، فى الوقت الذى كانت تفتقر فيه القوانين السابقة إلى تلك النظرة الإنسانية . ولعل ذلك يتضح من تغيير العقوبة التى كانت توقع على جريمة القتل فقد كان الجانى يتحمل فقط دفع دية القتيل حسب درجته الاجتماعية لكن أصبح الآن

---

(١) Ibid.

(٢) Hodkin, op. Cit; vi, p. 491.

(٣) Liutprand, King, The Laws of king Liutprand, cf. The LombardLaws, translated from the Original latin by Katheine Fischer drew, philadelphia, 1973, PP. 144 – 145.

اكتملت هذه المجموعة القانونية خلال ثلاثة وعشرين عاما من حكم ليوتبراند ، وظهرت فى أجزاء وفق الأعوام التالية : الأول ، الخامس الثامن ، ثم فى سنوات متتالية من العاشر إلى السابع عشر ، ثم فى العام التاسع عشر ثم من الحادى والعشرين حتى الثالث والعشرين .

بموجب قانون ليوتبراند يفقد ممتلكاته وتتحول هذه الممتلكات إلى ورثة القتيل، وإذا لم يكن لديه ممتلكات يصبح عبدا لدى الورثة [١] وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على رغبة الملك فى أن يكون الناس جميعا سواء أمام القانون تحقيقا للعدالة الاجتماعية. وقد اتسم هذا القانون أيضا بميزة جديدة لم تكن معروفة من قبل ، وهى توقيع عقوبات مختلفة على القضاة الذين يتراخون فى تنفيذ العدالة [٢]. على أية حال ، تولى عرش اللومبارد بعد وفاة ليوتبراند عام ٧٤٤م ابن أخيه هيلبراند **Hildbrand** ، ولكنه لم يحكم أكثر من ثمانية أشهر ثم وافته المنية [٣] . ثم انقسم اللومبارديون على أنفسهم إلى فريقين : أحدهما يؤيد راتشيس **Ratshis** ، بينما يناصر الفريق أخيه ايستولف **Aistulf** ، ولكن انتهى الأمر بتولية الأول عرش المملكة ، اللومباردية وظل يحكمها

---

(١) The Laws of King Liutprand, title, 62.

(٢) عرف المجتمع اللومباردى فى هذا الوقت نوعين من القضاة أحدهما معروف باسم **Sculdahis** والثانى **Judex** . فإذا أخر القاضى الأول القضية المنظورة أمامه أكثر من أربعة أيام يدفع غرامة قدرها ٦ صلدات إلى صاحب الدعوى، ومثلها القاضى الأخر. أما إذا كان سبب التأخير يرجع إلى صاحب الدعوى، ومثلها للقاضى الأخر. أما إذا كان سبب التأخير يرجع إلى صعوبة القضية، فيتم تحويلها إلى القاضى الثانى **(judex)**. وفى هذه الحالة يجب النظر فيها قبل مرور سبعة أيام ، وإلا دفع هذا القاضى غرامة ١٥ صلدا إلى صاحب الدعوى. وإذا كانت الحالة تستدعى تحويلها إلى البلاط الملكى للنظر فيها ولكن القاضى ثباطأ فى تحويلها يدفع غرامة قدرها ١٢ صلدا إلى صاحب الدعوى و٢٠ صلدا إلى الملك.

راجع : The Laws of King Liutprand, title 28.

(٣) Paul the Deacon, op. Cit; P. 300; cf. Also : Hodkin, op. Cit; vl; PP.401 – 402.

ولم يكن هيلدبراند غريبا على إدارة دفة الأمور فى المملكة ، لأنه كان يحكمها مشاركة مع ليوتبراند منذ عام ٧٣٥م عندما أجمع اللومبارديون على اختياره فى هذا المنصب أثناء المرض الخطير الذى أصاب الملك ليوتبراند مما أنذر بقرب نهايته . راجع :

Paul the Deacon, op. Cit; P. 306; cf. Also; Hodkin. Op. Cit; vl, p. 473.

خمسة أعوام من ٧٤٤ حتى ٧٤٩م [١]. ويرجع إليه الفضل فى إصدار تشريعات قانونية جديدة فى عامى ٧٤٥ و ٧٤٦م تتكون من أربع عشرة مادة ، تختص معظمها بإجراءات التقاضى ، فضلا عن أمور أخرى تتعلق بالعبيد ونصف الأحرار [٢] ويبدو أن هذا الملك لم يكن جديرا بتولية أمور المملكة ، حيث أجمع أدواق اللومباردية على عزله وتعيين أخيه ايستولف بدلا منه وقد تم ذلك بالفعل عام ٧٤٩م. وانتهى الأمر بالملك راتشيس أن انخرط فى سلك الرهبنة واعتكف فى دير مونت كاسينو وظل به حتى وفاته [٣] .

وانتهز ايستولف فرصة انشغال الإمبراطورية البيزنطية على عهد الإمبراطور قنسطنطين الخامس بالمنازعات الداخلية والحركة اللاأيقونية والتصدى للبلغار والعرب، فاستولى على مدينة رافنا فى إيطاليا بعد أن استردها البيزنطيون من قبل. وبالتالى يكون وضع نهاية للنفوذ البيزنطى فى شمال ووسط إيطاليا [٤] . ولكن ازدياد نفوذ البابوية فى تلك الفترة خلال عهد البابا ستيفن الثانى (٧٥٢ – ٧٥٧م) لم يرض الملك ايستولف ولهذا صمم على ضم بعض أملاك البابوية وحينئذ لم يجد البابا إلا الإتجاه إلى بيبن القصير ملك الفرنجة طالبا حمايته ، ففكر البابا فى أن يتوجه بنفسه لمقابلته حاملا الهدايا الثمينة. وعندما علم الملك بيبن بقدوم البابا بادر باستقباله ، وأرسل ابنه شارلمان وجماعة من نبلائه للقاء البابا ومصاحبته أما هو فقد استقبل البابا

---

(١) Paul the Deacon, op. Cit; P.306; cf. Also: Mastermann, op. Cit; P. 122.

(٢) Ratchis, King, The Laws of of King Ratchis, cf. The LombardLaws, translated from the Origin Latin by Katherine Fischer drew, philadelphia, 1973, PP. 215 – 225.

(٣) Paul the Deacon, op. Cit; P. 311, n. 1

(٤) محمد الشيخ : المرجع السابق ، ص ٢٥١ ، حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ١٢١ . راجع أيضا:
Holister, C; Mėdieval Europe, U.S.A; 1974, P. 83.

على مسافة ثلاثة أميال من قصره . وقد ترجل عن جواده وجثا على ركبتيه هو وزوجته وأبناؤه ونبلائه وسار الموكب حتى وصل القصر. وهناك تضرع البابا إلى الملك بيبن وقد امتلأت عيناه بالدموع وهو يطلب مساعدة الفرنجة لاستعادة ممتلكاته التى استولى اللومبارديون عليها ، فوعده الملك بيبن بالمساعدة [١] . وكان لهذا اللقاء أهمية كبيرة فى تاريخ العصور الوسطى ، إذا أكد انصراف البابوية عن الدولة البيزنطية وتحالفها مع مملكة الفرنجة [٢]. وعندئذ أرسل بيبن القصير سفارة إلى الملك ايستولف يطالبه بضرورة إعادة الممتلكات البابوية إلى البابا، ولما لم يجد استجابة من ملك اللومبارد شن هجمات سريعة على اللومبارديين فى حملتين عسكريتين عامى ٧٥٥ و ٧٥٦م [٣]. ورغم أن بعض قادة الفرنجة كانوا ضد رغبة الملك فى القضاء على اللومبارديين لدرجة أنهم أعلنوا صراحة تخليهم عن الملك فى هجومه على الأراضى اللومباردية ، إلا أنه نجح فى إنزال الهزيمة بجيوش اللومبارديين حتى أجلاهم عن البلاد التى استولوا عليها منذ وفاة ليوتبراند بعد أن حاصر بافيا عدة أيام وأجبر ايستولف على احترام البابوية وإعادة ما أخذه منها من أملاك بعد أن أقسم وتعهد بعد

---

(١) Annales Mettenses Priores, cf. Pullan, B; (ed), sources history of Medieval Europe From the Mid – Eight to the Mid – thirteenth Century, Oxford, 1971, P. 6; Notker the stammerer, Charlemagne, cf the two lives of Charlemagne, translated From the origin Latin by Lewis Throp, Penguin Books, London, 1969, P. 159; Chronicon moissiacense, cf. Pullan, B: (ed), Sources History of Medieval Europe From the Mid – Eight to the Mid thirteenth century, Oxford, 1971, P. 6. Cf. Also: Holister, op. Cit; PP. 83 – 84; stephenson, op cit; P. 150.

(٢) حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ١٢١.

(٣) Chronicon moissiacense, op. Cit; P. 7.

راجع أيضا ساليفان : المرجع السابق ص ١٠٨.

تهديد ممتلكات البابوية مرة أخرى [١]. وعلى الرغم من انشغال ايستولف بكل هذه الأمور ، فقد أصدر نصوصاً قانوينة جديدة لتنظيم المجتمع اللومباردى ففى عام ٧٥٠م ظهر الجزء الأول منها ويتكون من تسع مواد يتناول بعضها تنظيم أوضاع التجار ، بينما تناول البعض الآخر أثر الزواج غير الشرعى فى المجتمع . أما الجزء الثانى منها فقد ظهر عام ٧٥٥م ، ويتعلق بالتحرر من العبودية وتنظيم الكنائس اللومباردية وأمور الميراث [٢] . وتعد هذه القوانين آخر عمل قانونى تم انجازه فى المجتمع اللومباردى.

وكان موت ايستولف عام ٧٥٦م أيذانا بتفكيك مملكة اللومبارديين فى إيطاليا، وعاملا هاما فى ازدياد نفوذ البابوية [٣]. ولقد تولى عرش المملكة من بعده دذيدريوس **Desiderius** وظل يحكمها حتى عام ٧٧٤م. وبدأ فى ازعاج البابوية من جديد حيث استولى على ممتلكاتها منتهزا فرصة اختفاء بيبن القصير من مسرح الأحداث وكان شارلمان قد تزوج عام ٧٧٠م من ابنة دذيدريوس لتوطيد العلاقات بينهما حرصاً على استقرار الأمور والسلام فى المنطقة [٤] .ولم يقدر لهذا الزواج أن يستمر طويلا فانفصل الزوجان وساءت العلاقات بين الطرفين. وكانت تصرفات ملك اللومبارديين تجاه البابوية بداية لحرب جديدة فى المنطقة. فاستنجد البابا هدريان الأول (٧٧٢ – ٧٩٥م) بشارلمان عام ٧٧٣م فما لبث الأخير أن جاء إلى إيطاليا على رأس قواته تلبية لرغبة البابا كما لباها أبوه من قبل وحارب اللومبارديون وانتصر عليهم واستطاع طرد الجيش

---

(١) Einhard, The Life of charlemagne cf. The two lives of Charlemagne. Translated From the Origin Latin by Lewis Throp, penguin books, London 1969, P. 60 .

(٢) Aistulf, King, The Laws of King Aistulf, translated from the originLatin by Katherin Fischer Drew philadelphia, 1973, titles, 1 – 9.

(٣) محمد الشيخ : المرجع السابق ، ص ٢٥٢.

(٤) Notker the Stammere, op. Cit; P. 182. 182; cf. Also: Bryce, J; The Holy Roman Empire, London, 1968/, PP. 41 – 42.

اللومبارى إلى ما وراء أسوار العاصمة بافيا مما اضطر الملك دذيدريوس إلى الاستسلام بعد حصار طويل . وكان النصر الذى أحرزه شارلمان نصرا تاما [١]. حتى بلغ الأمر أنه خلع الملك دذيدريوس عن عرشه وطرده من إيطاليا وأمر أن يذهب إلى أحد الأديرة ليقضى به بقية حياته. واستولى على التاج لنفسه وضم أراضى اللومبارديين إلى أملاكه ، وأعاد إلى البابا هارديان ممتلكات البابوية التى استولى عليها دذيدريوس من قبل [٢].

وهكذا تم اسدال الستار على مرحلة هامة من مراحل تاريخ أوربا فى العصور الوسطى بصفة عامة ، وفى تاريخ البيت اللومباردى بصفة خاصة بعد أن حكم ملوكه معظم إيطاليا مائتين من السنين . وإن كانت مملكة اللومبارديين قد اختفت من مسرح الأحداث إلا أن بصماتها فى إيطاليا ظلت موجودة ردحا طويلا من الزمن من خلال انجازات ملوكها من ناحية ، ونجاح دوقية بنفنتو فى الاستقلال عنها فى أيامها الأخيرة ، وفشل الفرنجة فى الاستيلاء عليها من ناحية أخرى . فظل أدواق بنفنتو حفظة لتراث الشعب اللومباردى، وكذلك اللغة الإيطالية متأثرة بكثير من الكلمات ذات الأصل اللومباردى ، وكذلك المؤسسات القانونية فى الشمال الإيطالى بقيت متأثرة بالنفوذ اللومباردى ما يقرب من قرنين من الزمان بعد القضاء على مملكة اللومبارديين.

---

(١) ساليفان : المرجع السابق ، ص ١١، جوزيف نسيم : تاريخ العصور الوسطى الأوربية ، ص ١٥٤. راجع أيضا:

Claster, N; The Medieval Experience, London, 1982, P. 119.

(٢) Einhard, op. Cit; P.61; cf. Also: Hlolister, op. Cit; P. 88; (c) Stephenson, op. Cit; Loc. Cit .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر الأجنبية :-

Aistulf, King, The Laws of King Aistulf, cf. The Lombard laws, translated From the original Latin by Katherine Fischer Drew, Philadelphia, 1973

Annales Mettenses Priores, cf. Pullan, B; (ed), Sources history of Medieval Europe From the Mid – Eight to the Mid – thirteenth century Oxford, 1971.

Chronicon Moissiacense, Pullan, B; (ed), Sources History of Medieval Europe from the Mid Eight to the Mid thirteenth century, Oxford, 1971.

Chronicarum quae dicuntur Fredegarii Scholastici Continuationes, cf. Pullan, B; Sources history of Medieval Europe from the Mid – Eight to the Mid thirteenth century, Oxford, 1971.

Einhard, the life of Charlemagne, translated from the original latin by Lewis Throp, London, 1969.

Gregory of Tours, The history of the Franks, translated From the original Latin by Lewis Throp, London, 1974.

Grimwald, King, The Laws of King Griimwald, cf. The Lombard Laws, translated from the original latin by Katherine Fischr Drew, philadelphia, 1973.

Liber Pontificialis, cf. Pullan B. (ed); Sources history of Medieval Europe from the Mid – Eight to the thirteenth centur, Oxford, 1971.

Liutprand, King, The Laws of King Liutprand, cf. The Lombard Laws, translated from the original Laitn by Katherine Fischer Drew, Philadelphia, 1973.

Notker the Stammerer, Charlemagne, cf. The two Lives of Charlemange, translated from the original Latin by Lewis Throp, London, 1969.

Paul the Deacon, History of the Lombards, translated by wiolliam Dudkwey Foulk, philadelphia 1974.

Patchis, Histoory of the Wars, translated from the original Greek by Dewing, H.B; 7 Vols, London, (1910 - 1940).

Ratchis, King, The Laws of King Ratchis, cf. The Lombard Laws, translated from the original Latin by Katherine Fischer Drew, Philadelphia, 1973.

Rothair, King, Rothair's Edict, cf. The Lombard laws, translated From the original Latin by Katherine Fischer Drew, Philadelphia, 1973.

Secundus to Trent, orgio Gentis Langobardorum cf. Paul the Deacon, History of the Lombards, translated by william Dudley (PP. 315 – 3210 philadelphia, 1974.

ثانيا : المراجع الأجنبية :

Bryce, J; The Holy Roman Empire, London, 1968.

Chlaster, N; The Medival Experience (300 – 140), London, 1982

Deanesly, M; A History of Early Medieval Europe (476 – 911), London, 1956.

Dury, V; The history of the Middle Ages, New york, 1891.

Hartman, L. M; Geschichte Italiens Immittellter, 2 vols, Gotenburg, 1903.

Hodkin, T; Italy and her invaders. 6 vols, Oxford, 1895.

Holister, C; Medievl Europe, U.S.A. , 1974 .

Jenkins, C; Medieval European history, London, 1929.

Katherine Fischer Drew, The Lombard state and the Lomard Laws, cf. The Lombard Laws, (PP. 14 – 37) philadelphia, 1973.

Masterman, H; The Dawn of Medieval Europe (476 – 918), London, 1911.

Oman, ch; The Dark Ages (476 – 918), London, 1923.

Ostrogorsky, G; History of the Byzantine state, Oxford, 1956.

Peter, E; (1) The Lombard and the Lombard Laws, cf. The Lombard Laws, translated by Katherine Fischer Drew, (PP. V – xx11) Philadelphia, 1973.

(2) Europe, The World of the Middle Ages, New Jersey, 1977.

Schmidt, Zur Geschicvhe der Langobarden, Leipsis, 1895.

Slephenson, C; Medieval History, U.S.A; 11965. Thatcher and Schwill, Europe in the Middle Ages London. 1907.

Real Encyclopedia der Altertum Wissenschoft , Sub, Wergeld, Gotenburg, 1910.

ثالثا : المراجع العربية والمعربة

السيد الباز العرينى (الدكتور) : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، بيروت ١٩٦٨.

جوزيف نسيم يوسف (الدكتور) : تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، الإسكندرية ، ١٩٤.

تاريخ الدولة البيزنطية ، الإسكندرية ١٩٨٤.

حسنين محمد ربيع (الدكتور) : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية القاهرة ١٩٨٣م.

ريتشارد سالیفان : ورثة الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة د. جوزيف نسيم يوسف ، الإسكندرية ١٩٨٥.

سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، بيروت ١٩٨٢.

سيد أحمد الناصرى (الدكتور) : الإغريق : تاريخهم وحضارتهم ، القاهرة ١٩٨٤.

الرومان من القرية إلى الإمبراطورية، القاهرة ، ١٩٧٦.

محمد محمد مرسى الشيخ (الدكتور) : الممالك الجرمانية فى أوربا فى العصور الوسطى ، الإسكندرية ، ١٩٧٥.